ISSN 2170-0796

ألف "بَقَارَة" وبقرة

بقلم أ.طارق

تبين الدراسات الانتروبولوجية المتعددة مكانة البقر عند الانسان منذ القدم، فلا غرابة إذا وجدنا تراث الشعوب القديمة منها والمعاصرة تزخر بطقوس البقر، فهي ثروة مهمة، وكل ما فيها يستفاد منه: اللحم، الحليب، الجلد، العظام وحتى الروث يستعمل كسماد ومصدر للطاقة المتجددة مباشرة بالاحتراق أو عن طريق إنتاج غاز الميثان .في بعض المجتمعات تقدم البقرة كمهر للعروس، وتقدر ثروة الانسان ومكانته الاجتماعية بعدد ما يمتلكه من البقر .كذلك نلتمس أهمية البقر في كل الديانات، حيث ذكّر في عدة مواقع في القرآن الكريم نذكّر على سبيل المثال لا للحصر: في قصة رؤيا سيدنا يوسف، وكذلك الجدل بين سيدنا موسى وبني اسرائيل حول نوع البقرة حيث سميت بها أطول وثاني سورة بعد الفاتحة في ترتيب المصحف.

لقد رمز الفراعنة في معابدهم إلى السماء ببطن البقرة أو امرأة فوق رأسها قرون بقرة، أما الهندوس فيقدسون البقر ويحرمون ذبحه أو الإساءة إليه؛ ومن العقائد اليهودية أنه قبل قيام الساعة تظهر بقرة حمراء التي يقومون بحرقها ويتطهرون برمادها قبل دخول الهيكل الذي يبنى على أنقاض المسجد الأقصى.

أما الليبيرالية التوسعية والمتمثلة في الهيمنة الأمريكية المتفردة في العالم والمتدخلة في شؤن الغير، فتفتخر كثيرا بماضيها المرتبط برعاة البقر ، وقد ذكّر هذا روبرت كاجان في جريدة (The New Republic On Line)ما عنونه بـ: " CowBoy Nation " أي " **أمة رعاة البقر**" أين يوضح تجذر الميل في ممارسة القوة لدى الأمة الامريكية منذ نشأتها الأولى، ومن جهة أخرى فأتباعهم الفرسيون الذين يرمز لهم بالديك يستعملون البقرة بعبارة "Oh la Vache" للتعجب.

في تصنيف منظمة الصحة العالمية لبعض الأمراض المتعلقة بالحيوان، كأنفلوزا الطيور والخنازير، فإن التصنيف يخص البقر بصفة الجنون " مرض جنون البقر " ومن المعلوم ما لهذه الكلمة أي " الجنون " من معنى ونظرة مميزة في المجتمع وحتى في الديانات، إذ يرفع القلم عن المجنون.

من الطرائف في المجتمع عند شتم الشخص والنعت له بحيوان ما، فهذا يكون حسب شخصيته وبنيته الجسدية ويكون النعت بالبقرة أقل ضررا مقارنة بـ: النعجة، الحمار، البغل، الدجاجة، القرد.....الخ.

ولقد شوهدت ثائرة المجتمع عندما علم أنه استهزئ به عندما أكل لحم الحمير بدل البقر ولم يتقبل هذا النوع من الغش، ولكن لم يبالي من السلع المقلدة " التيْوان " التي لم تترك أي شيء حتى المتعلقة بصحة الإنسان.ونلمس تواجد البقر في مجتمعنا في كثير من المواقع، حيث في بعض المناطق لإحياء " وعدة " سيدنا بلال يقوم بما يسمى " الديوانة أو الديوان " بتزيين الثور الأسود ويجول به في المدينة لجمع التبرعات مع وقع الطبول والبخور، ويوم نحره تقام طقوس ورقصات خاصة بالحدث.

وهناك عدة أمثلة شعبية وطرائف تساق حول البقر :كـ " لو كان يحرث ما يبيعوه " ، " البقرة وبنتها "، " الثور مين يطيح يكثرو خداماه " " البقر الحلوب "، " الحلابة " على الحدود، " البقارة " داخل وخارج الحدود.ولعل الحدث الكبير الذي يشغل المجتمع هذه الأيام لدليل على أهمية البقر والمتمثل في لحم البقر الهندي، وطوابير الحليب والمضاربين في الأسعار من "البقارة". فقارورة الحليب تشد أنظار "الزوالية" فأي مار بالشارع وفي يده قارورة ينظر له كمحظوظ وتتجه له الأعين كشخصية نافذة ويطرح عليه وابل من الأسئلة " أين يباع الحليب ؟".

أما لحم البقر الذي كان من المفروض حسب تصريحات بعض المسؤولين أيام حمى أم درمان أنه يستورد من السودان، ولكن يطل علينا "البقارة" بخرجة استراده من الهند وهذا لقداسته، لأن شعب أم المعجزات لا يأكل إلا اللحم المقدس من بقرة لها مكانتها الاجتماعية، محترمة ولا تساق كباقي أبقار العالم.المهم حالنا سيبقى رغم أنفنا في دوامة البقر ومنتوجاته ونأكل مما يصنع غيرنا، حتى يرث الله الأرض ومن عليها من أنعام و بغال و أبقار و "بقارة"....الخ.

ISSN 2170-0796